

ترنمة عرفانية

الدكتور الحسيني

ما أروع الحجّ

ما أروع الحجّ لو لبّيتُ معتمراً
وقد حدوتُ طُوالَ الدربِ قافلتي
وقد نزلتُ فناء البيتِ معتكفاً
هنا وقفْتُ هنا صلّيتُ في وِلكِه
هنا عرفْتُ معاني الحجّ وأزدلفت
هنا رميتُ جماراً من هوى كبدي
هنا تحولتُ رُوحاً صفقتُ فَرَحاً
هنا تحوّل قلبي في الهوى وتراً

رَبِّ الحجيجِ مُجيباً صاحبَ الدارِ!
وقد طويت النوى في طيّ أسحاري
وظفتُ سبعاً طواف الكوكب الساري
هنا جلسْتُ هنا راجعتُ أفكاري
في مشعر الحقِّ آمالي وأوطاري
هنا نَحرتُ المُنَى في كَفِّ نَحَارِ
وغرّرتُ وشَدتُ في لحنِ أطيّارِ
يبتُّ مـاليس تـرجوه بأوتارِ



هنا أذبتُ وُجودي في محبته هنا تحطم مزماري وقيثاري

ما أروع الحج أن يدنو لصاحبه
واثقلته خطايا العمر يحملها
وراح يمسح بالأحجار معتذراً
يقول يارب إني تائب أبداً
فقد دعوت ضيوفاً ما لهم عدد
ماطوا لباس «الأنا» واستبدلوا حُللاً
فن يحج لباري الخلق بارئيه
ومن يحج لكسب المال متجراً
ومن يحج لدنيا كي يُصيب بها
لكنما الحج في ديني ومعتدي

ما أروع الحج تطوافاً وتلبيةً
يطوف في البيت يقفو كلّ والهة
قدسية قد سقت كأساً معتقةً
هو الشراب الذي من ذاق جرعته
فحلّق الطائفون البيت في سفر
تنشى التلاوة في أكناف كعبته
لقد تجلّى بهم عشق الإله هوى
وإن تهادوا إلى الاستار تحسبهم
يمسحون بأحجار ويا خسئت

من عاشق وامق يصبو لديار!
وواله ثلاً من لحظ أنظار
من المحبة لا من كف خمّار
قد ذاق من جنّة تجري بأنهار
مع الأحبة لا يرجى بأسفار
ومسكها الخلد لا من عطر عطار
يُزري بعشق نواقيس وزنار
ألحان عرش تهادت حول أستار
جواهر الأرض أن تسمو لأنوار

بأسودٍ حَجْرًا فِي اللّونِ كَالقَارِ
كَفُّ لِحورٍ وَنورٍ بَيْنَ نُورِ
كفًّا بِكفِّ فَقَد نُجِّيتُ مِنْ نارِ

مِنْ جَنَّةِ الخُلدِ جَبْريلُ أتَى جَدلاً
لكنَّه فِي ضياءٍ أَوْ ملامسَةٍ
اللهُ أَكْبَرُ لو بَايعتُ مصطَفقاً

يسعون بين جبال النور للغار!
ليرشفوا من غير مَارَ فَوَارِ
من كلِّ غيثٍ من الرحمنِ مدارِ
بِعَبْرَةٍ سُفِحَتْ مِنْ عَيْنِ عِبَّارِ
محمَّدٌ وَسَرَى بِرِقاً بِأنصارِ
ويبتني مسجداً فِي رُوحِ إيثارِ
يهدمون قُصورَ الظُّلمِ بالنارِ
وقام معتدلاً يزهو بأدوارِ
وخرَّ فِي جُرْفٍ وَيلاهُ مُنْهَارِ
من بعد ما غزى الإسلامُ فِي الدَّارِ
أضحى يسوسهم دَجَّالُ أدْهَارِ
بَيْنَ الشُّعوبِ وَشَبَّتْ نارُ إعصارِ

ما أروعَ الحجِّ لو قد جئتُ فِي نفرِ
يهرولون بشوقٍ نحوهُ سَحْرًا
ويُفعموا الرُّوحَ فِي أَكْنافِهِ مُتَعًا
مستلهمين من التاريخِ عِبْرتهِ
بالأمسِ قد فَتَحَ الدُّنيا بنغمتهِ
مشى يَخْطُ للإسلامِ دولتهِ
وراح جُنْدُ لَهُ فِي بأسهمِ شِعْلاً
حتى استوت لمباني العدلِ قامتهِ
لكنَّما الفلَّكُ الدَّوَّارُ طَوَّحَهُ
واليومَ عادَ إلى الدُّنيا فراعِنتهِ
والمسلمونَ وياللهِ فِي زَمَنِ
لكنَّما النهضةُ الكبرى مُجْلِجَلَّةٌ

وحى الإله ندياً من فم الغارِ
«اقْرَأْ وَرَبُّكَ» قد خُطَّتْ بأنوارِ
حرفاً فحرفاً وترتيلاً مع القاريِ
نشوى وقلبٍ من الأشواقِ مِعْطارِ
من غيرِ إذنٍ بإعلانِ لأَسرارِ

ما أروعَ الحجِّ لو أصغيتُ مستمعاً
فمن جِراءِ مَشَتْ فِي الأَرْضِ صيحتُهُ
وقد تلا أحمدُ المختارُ سُورتهاِ
وهكذا قرأ القرآنَ فِي كَبِدِ
وكان من قبلها يتلو صحائفَهُ

وَدَارَ دَوْرَتَهُ هَدِيًّا لِأَعْصَارِ
«قُمْ» وَأَنْفُضَنَّ دِثَارًا تَحْتَ دَثَارِ
وَأَنْذِرِ الْكُفْرَ طُرًّا أَيَّ إِنْذَارِ
مِنْ بَعْدِ تَطْهِيرِ آثَابِ لِأَبْرَارِ
نَارُ الْمَجُوسِ وَأَهْلُ النَّارِ فِي النَّارِ
هُدَّتْ لِقَيْصَرَ وَأَنْثَلَتْ كَأَحْجَارِ
فِيهَا إِلَى الْحَقِّ رَايَاتٌ لِقَهَّارِ
بِاسْمِ الْإِلَهِ وَرَفَّتْ فَوْقَ أَمْصَارِ
مَهْدِيكُمْ ضَارِبًا فِي حَدِّ بَتَّارِ

لَكَمَّا الْأَمْرُ قَدْ حَانَتْ شِرَائِطُهُ
وَقَدْ تَوَالَتْ مِنَ الرَّحْمَنِ صَادِحَةٌ
وَأَضْحَخَ بِتَكْبِيرِهِ هَدَّتْ عُرُوشَهُمْ
وَطَهَّرَ الْأَرْضَ مِنْ أَرْجَاسِ سَاسَتِهَا
فَهَذَا مِيلَادِكِ الْمَيْمُونِ قَدْ حَمَدَتْ
وَقَدْ تَصَدَّعَ إِيوَانٌ وَأَرْوَقَةٌ
وَعَارَ مَاءٌ بِأَرْضٍ لَمْ تَكُنْ رُكُزَتْ
فَانْهَضْ لِتَخْفِقَ رَايَاتٌ قَدْ أَرْتَفَعَتْ
وَفِي غَدٍ مِنْ فِنَاءِ الْبَيْتِ يَرْفَعُهَا

جَنْبِ الْغَدِيرِ وَحَطُّوا رَحْلَ زُورَارِ!
مِثْلَ النَّبِيِّ بِحَمٍّ يَوْمَ تَذْكَارِ
قَدْ كَانَ بِالْأَمْسِ مَشْهُودًا لِأَشْجَارِ
مُدَّ قَامٌ يَخْطُبُ طَهَ فَوْقَ أَكْوَارِ؟
هَذَا عَلِيُّ لَهُ مَوْلَى مِنَ الْبَارِي
مَنْ الْحَجَّاجِ لِيَرْوِهَا لِأَنْفَارِ
و«الْيَوْمَ» تَمَّتْ بِهَا أَنْعَامُ حَبَّارِ

مَا أَرُوعَ الْحَجِّ لَوْ جَاءَ الْحَجَّاجُ إِلَى
وَقَدْ أَنَاخُوا الْمَطَايَا بَعْدَ حَجَّتِهِمْ
وَسَأَلُوا الشَّجَرَاتِ الْخُضْرَ عَنْ حَدِيثِ
هَلَّا سَمِعْتُنَّ أَصْدَاءَ لِرُكْبِهِمْ
وَقَالَ مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ وَسَيِّدُهُ
وَآيَةٌ نَزَلَتْ «بَلِّغْ» بِهَا نَفْرًا
وَيَعْلَمُ النَّاسُ أَنَّ الدِّينَ مَكْتَمَلٌ

بِسَبْطِيَّةٍ زَائِرًا قَبْرًا لِمُخْتَارِ!
بَيْنَ السَّمَاكِينِ نَشْتٌ نَشْتٌ أَنْوَارِ
مِنْ الْجَنَائِنِ حَوْلَ الْجَارِ وَالِدَارِ
بِهَا لِيَمْسَحَ جُرْحًا جِدًّا نَعَارِ

مَا أَرُوعَ الْحَجِّ لَوْ كَانَ الْخِتَامُ لَهُ
لِيَرْمُقَ الْقَبَّةَ الْخَضْرَاءَ سَامِقَةً
وَقَدْ تَسَاقَطَ مِنْهَا الطَّلُّ فِي حُلِّ
وَمَدَّ أَحْمَدُ فِي أَرْضِ الْبَقِيعِ يَدًا

مِنْ الْقُبُورِ الَّتِي فِيهَا لَبَضَعْتَهُ
 أَهْكَذَا يُحْفَظُ الْمُخْتَارُ فِي وَكْدٍ
 أَفَلَاذُ أَكْبَادِهَا قُدَّتْ بِأَوْتَارِ
 أَيْنَ الْحِفَافُ فِي اللَّخْزِيِّ وَالْعَارِ؟
 بِالْقَتْلِ وَالنَّفْيِ وَالتَّشْرِيدِ عَنِ دَارِ؟
 مَاذَا عَدَا أَوْبَدَا حَتَّى مَقَابِرِهِمْ
 وَدَوْرُهُمْ دُرِسَتْ مِنْ دُونَ آثَارِ؟
